

الدرس التاسع والثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه المعنون بـ«عمدة الأحكام» :

كِتَابُ الصِّيَامِ

٢٠٠ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْوَصَالِ. قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)).
وَرَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةُ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ.

٢٠١ - وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ((فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحْرِ)).

أورد المصنف الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: ((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوَصَالِ ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ ! قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)). قال: وَرَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةُ وَأَنَسٌ . في هذا الحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الوصال وهو أن يصل يوماً بيوم فلا يفطر ولا يتسحر ، يصل يوماً بيوم يستمر صائماً إذا غربت عليه الشمس وهو صائم لا يفطر وإنما يستمر صائماً وإذا جاء وقت السحور لا يتسحر يستمر صائماً ؛ فيسمى «وصال» لأنه وصل يوماً بيوم . فهى النبي صلوات الله وسلامه عن ذلك ، وكانت لديهم أبدان قوية ؛ فمنهم من يصل اليوم باليوم ، ومنهم من يصل الثلاثة أيام ، فكانت لديهم أبدان قوية فيصومون ذلك مع ما فيه من مشقة عليهم ؛ وهذا منشأه الرغبة في العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى والحرص على الصيام هذا الذي يدفعهم لذلك ، الذي يدفعهم لذلك هو عظيم رغبتهم وحرصهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، لكن التكاليف الشرعية والأوامر الشرعية جاءت سمحة ميسرة ليس فيها مشقة على العباد ولا عنت ولا حرج ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج:٧٨] ، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَ وَيُكْمِلَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ وَلَا يَجْعَلَ لَكُمْ مِنْهُ عُسْرًا ﴾ [البقرة:١٨٥] ، ((بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)) ، فهى عليه الصلاة والسلام عن الوصال مع ما قام في قلوبهم من رغبة وأيضا قدرة على ذلك بشيء من المشقة والجهد إلا أنه عليه الصلاة والسلام نهاهم عن ذلك .

((قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ!)) أي أنه تعارض عندهم نهيهم مع فعله ؛ نهاهم عن الوصال وهم يرون من فعله عليه الصلاة والسلام أنه يواصل ، فتعارض عندهم ذلك وقالوا إنك تواصل!! ((قَالَ: إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ)) أي خصّه ربه جل في علاه بأمر ميّزه به عن غيره ، وهذا معنى قوله ((إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ))

((إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)) ؛ «أُطْعَمَ وَأُسْقَى» مبني لما لم يُسمَّ فاعله أي يطعمني الله سبحانه وتعالى ويسقيني ، وهذا النهي لهم عن الوصال لما فيه من المشقة ولما جاءت به أيضاً الشريعة من التيسير والسماحة واليسر .

❖ والنهي من أهل العلم من حمله على التحريم .

❖ ومنهم من حمله على الكراهة ؛ قد جاء في رواية أبي هريرة في الصحيح لهذا الحديث قال : ((فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوَصَالِ، وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ -هلال آخر

الشهر كان ذلك في رمضان - فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ لَزِدْتُكُمْ» كَالْمَنْكِلِ بِهِمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا)). وكما قدّمت كان ذلك من عظيم حرصهم على هذه العبادة ، ولما رأوه في فعل النبي صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

فمن أهل العلم من حمل النهي على التحريم ومنهم من حمّله على الكراهة ؛ وهذا الحديث الذي أشرت إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم واصل بهم يوم ويوم آخر يدل على أن النهي على الكراهة وليس على التحريم ، فلو كان أمراً محرماً لما واصل بهم صلوات الله وسلامه عليه .

❖ ومن أهل العلم من فصلّ والتفصيل له وجه ؛ فقال إن كان الوصال يضر المرء إن كان يترتب عليه مضرة فهو محرم ، وإن كان لا يترتب عليه مضرة بل يحصل فيه مشقة ودون ان يحصل له مضرة فهو مكروه ؛ وهذا له وجه .

وقول النبي عليه الصلاة والسلام ((إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى)) أي يطعمني ربي ويسقيني ما المراد بذلك؟ هل هو طعامٌ حسي وشراب حسي يتناوله عليه الصلاة والسلام أكلاً وشراباً فيشبع ويروى؟ أو هو معنوي وليس حسياً؟ قولان لأهل العلم في معنى الحديث ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : «وأظهر القولين عند العلماء أن مراده ما يطعمه ويسقيه في باطنه من غير أن يكون أكلاً وشراباً في الفم لوجهين ؛ أحدهما : أنه لو كان يطعمه ويسقيه من فمه لم يكن مواصلاً ، فإن المواصل هو من لا يأكل ولا يشرب ، ولو قُدِّرَ أنه أتى بطعام من الجنة فأكله لكان أكلاً لا مواصلاً . الثاني : أنه روي ((إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يَطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي)) ، وهذا يتناول النهار ، والأكل في النهار حرام مفطّر ولو كان من طعام الجنة ، فتبين أنه سمى ما يرزقه ويقيت قلبه ويغذيه إطعاماً وإسقاءً ، وقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام بالطعم والذوق والوجد والحلاوة ما في القلوب من الإيمان..» ثم ساق بعض الأحاديث في هذا المعنى مثل حديث ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا)) ، وحديث ((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ)) ونحو هذه الأحاديث .

قال المصنف رحمه الله : وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : ((فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحْرِ)) بمعنى أنه يصوم النهار ويضم إليه أكثر الليل فإذا أذن المغرب لا يفطر يكتفي بأكلة السحر ، تكون أكلة السحر فطور وسحور له .

قال ((فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحْرِ)) وهذا أمر أباحه عليه الصلاة والسلام وهو مباح لمن لا يجد في ذلك مضرة على نفسه مباح له ذلك ، والأولى عدم فعله ، الأولى ترك ذلك ترك هذا الوصال ، ولو لم يكن في تركه إلا تعجيل الفطور والمساواة إليه وهو أمر يحبه الله سبحانه وتعالى - وقد مر معنا شيء من الأحاديث في فضل الفطور وتعجيله - لو لم يكن في ذلك إلا ذلك لكفى ، فالواصل إلى السحر مباح بدلالة هذه الرواية وهي في مسلم ((فَأَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحْرِ)) لكن عدم ذلك أولى .

قال رحمه الله تعالى :

بَابُ أَفْضَلِ الصِّيَامِ وَغَيْرِهِ^(١)

٢٠٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ((أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَاللَّيْلَ مَا عَشْتُ. فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي. فَقَالَ: فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ. فَصُمُّ وَأَفْطِرْ ، وَتَمِّمْ وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا. وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ . قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ ، قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ. فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) . وَفِي رِوَايَةٍ: ((لَا صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوُدَ - شَطْرَ الدَّهْرِ - صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا)) .

وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) .

(١) إذا قلت «باب» فقل أفضل ، وإذا عطفت باب أفضل الصيام وغيره ، وأنت مخير إما أن تقول «باب أفضل الصيام» أو تعطف تقول «باب أفضل الصيام» . نرجع أيضا للباب ؛ إذا قلنا «باب أفضل الصيام» ما الصواب أن نقول وغيره أو غيره ؟ الصواب وغيره ، لأن المسائل الآتية فيها بحث لأفضل الصيام وبحث لغير هذا من المسائل ، أما إذا عطفت قلت «باب أفضل الصيام وغيره» لأنها تكون معطوفة على أفضل وليست معطوفة على الصيام ، فإن رفعت أفضل ترفع غيره ، وإن خفضت أفضل تخفض غيره .

ثم عقد رحمه الله تعالى هذا الباب ((بَابُ أَفْضَلِ الصِّيَامِ وَغَيْرِهِ)) أي وغيره من المسائل المتعلقة بالصيام .

وأورد أول ما أورد حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما وكان رضي الله عنه من شبَّان الصحابة وكان عابداً ناسكاً مجتهداً اجتهداً عظيماً في العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وهذا الحديث الذي ساقه رحمه الله تعالى شاهد على عظيم عنايته بالعبادة ورعايته لها واهتمامه بها .

قال رضي الله عنه : ((أَخْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِي أَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ)) يمين بالله ، وهذه اليمين انطلقت من قوة الحرص الذي عنده على العبادة والرغبة العظيمة فيها ، «وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ» .

قبل أن نمضي في الحديث وتفصيله والمعاني التي فيه انظر هذه اليمين الدالة على هذا الحرص وانظر واقع كثير من الشباب وأبناء المسلمين الآن والضياع الذي يعيشونه ، ولهذا ما أحوج الشباب فعلاً إلى أن يقرؤوا أخبار هؤلاء وسيرهم ومناقبهم وشمائلهم حتى تقع في قلوبهم محبة لهم وحرص على اتباعهم ، فإن قراءة الأخبار هؤلاء من أنفع ما يكون في صلاح الشباب واستقامتهم وقد قال القائل :

كرر علي حديثهم يا حادي فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

وكثير من شباب المسلمين أتى وأصيب بالعطب ومرض القلب بسبب قراءاته ومطالعتة ومشاهدته لأخبار التافهين والضائعين والهمل فتسبب ذلك النظر وتلك المطالعة والقراءة بمرض قلبه وضعف دينه ورقة إيمانه ؛ فما أحوج شباب المسلمين إلى أن يطالعوا سير هؤلاء الأخيار وأعمالهم المبرورة وعبادتهم ونصحهم وبلاءهم الحسن في دين الله سبحانه وتعالى .

قال: ((وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَا أَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ)) انتبه لكلمة «مَا عِشْتُ» واعتني بها ؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم يدركون أن أحب العمل إلى الله أدومه ، ليست القضية أن تجتهد يوم من الأيام وتأتي بأعمال كثيرة جداً ثم تنقطع ، وإنما الشأن في المواظبة والمداومة وأن تعمل العمل وتداوم عليه ولا تمل منه ((فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)) ، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يرتب نفسه في عباداته بهذه الطريقة عمل يداوم عليه ، بعضهم مثلاً أول ما يدخل في الاستقامة وهيمته ونشاطه وإقباله قوي فيقرر مثلاً أن يصوم يوم ويفطر يوم ، أو يصوم مثلاً في

الشهر عشرة أيام ويقوم من الليل كذا ويضع برامج قوية جدا ؛ فيتمكن في بدايات استقامته من الإتيان بها والمواظبة عليها لكن ما يتمكن من الاستمرار لأنه حَمَلَ نفسه جهدا ما يتمكن مثله من المواظبة عليه .

فالأصل عندما يضع -هذه فائدة مهمة تستفاد من هذا الحديث- الأصل عندما يضع الإنسان لنفسه برنامج في العبادة يضع برنامجا يستمر عليه ، مثلا يقول أصوم يوم من الشهر ؛ هذا خير عظيم يوم واحد وتستمر عليه في حياتك تعتبره برنامجا تواظب عليه ما عشت مثل ما قال ابن عمرو رضي الله عنهما ، أقوم من الليل ثلاث ركعات خمس ركعات أوأظب عليها ؛ خير من أن تقوم ليلة كلها وتترك باقي الليالي . فقولته «ما عشت» هذا جانب لا بد أن ينتبه له المرء ، وهذا أمر يدركه الصحابة رضي الله عنهم أن العمل يداوم عليه المرء ؛ هذه فائدة مهمة مستفادة من هذا الحديث .

قال : ((فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ)) دعاه النبي عليه الصلاة والسلام وتَثَبَّتْ ؛ وهذا فيه التثبيت من الأخبار والتأكد منها .

قَالَ : ((فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي)) أي أفديك بأبي وأمي .

قَالَ: ((فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ)) ما معنى لا تستطيع ذلك ؟ هل معناها ما تستطيع ذلك مدة شهر شهرين سنة سنتين ؟ هل هذا المراد ؟ لا المراد المداومة ، يعني ممكن في نشاطك الآن قوة الشباب والصحة ممكن تستطيع سنة سنتين ثلاث ، لكن الكلام هو في المداومة والاستمرار ، قال : ((فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ)) يعني لن تستطيع ان تداوم على ذلك ما عشت ، هذا ننتبه له كل من يضع لنفسه برنامج تعبدي ينبغي أن يضعه بشكل يداوم عليه ويضع من نيته أن يداوم عليه إلى أن يتوفاه الله سبحانه وتعالى .

قَالَ: ((فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَنَمِّ)) ؛ هذا توجيه عام في الباب ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ وَنَمِّ ، القرار الذي قرره وهو أنك تصوم ولا تفطر وتقوم الليل ولا تنام اعدل عنه ؛ صم وأفطر صم بعض الأيام وأفطر بعض الأيام ، وقم ونم ؛ قم بعض الليل ونم بعض الليل ، اعدل عن القرار الذي قرره وحلفت عليه .

((وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)) كان من نيته أن يصوم الدهر كله الشهور كلها ، هذه كانت نيته أن يصوم الدهر كله فقال له ((وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)) ، ثلاثة أيام إذا حسبتها تعتبر

عُشر الدهر يعني واحد من عشرة ، لأن إذا صمت ثلاثة أيام من كل شهر فقد صمت عُشر الدهر إذا واطبت على ذلك ، والحسنة بعشر أمثالها ماذا يكون ؟ كأنك صمت الدهر كله هذا فضل الله سبحانه وتعالى ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح ((صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ)) ، فإذا صمت ثلاثة أيام من كل شهر كأنما صمت عشر الدهر ، وإذا نظرت إلى الحديث أن الحسنة بعشر أمثالها فكأنما صمت الدهر كله ، إذاً كل إنسان يواظب على ثلاثة أيام يصومها من كل شهر لا يفوتها في أي شهر من الشهور ومضى على ذلك إلى أن توفاه الله وهي عمل ميسر فكأنما صام الدهر كله .

لعلنا ندخل اعتباراً من هذه الليلة برنامج عملي ، الكثير مواظب على ثلاثة أيام من كل شهر لكن من لم يكن مواظباً لعله يعزم من هذه الليلة ويجعل من برنامجه اليومي ثلاثة أيام يصومها من كل شهر ، وإن لم يكن متمكناً يصوم يوم واحد من كل شهر لكن يجعله برنامج ينوي أن يجعله برنامجاً يثبتته في كل شهوره ، والأولى أن يصوم هذا الصيام الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الشاب الحريص على مواصلة الصيام قال له ((وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ)) ، ففعل من لم يكن مواظباً أن يبدأ من هذا الشهر في برنامج شهري يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وهذه الأيام الثلاثة من كل شهر صمها من أي الشهر شئت ، إن شئت أوله أو وسطه أو آخره أو فرقتها أو جعلتها في يوم الاثنين أو جعلتها في البيض ، وعائشة لما سُئلت عن صيام النبي صلى الله عليه وسلم قالت : «من كل الشهر صام؛ من أوله وآخره ووسطه» .

فالحاصل أن يجعلها برنامجاً يثبتها لنفسه فإن في هذا خير عظيم وسيأتي حديث أبي هريرة بذلك .

قال : ((وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ)) نظير هذا الحديث الحديث الذي أشرت إليه ((صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وَصَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ)) يعني كأنما صمت الدهر كله ، يعني أيضاً للتوضيح إذا كان للإنسان رغبة أن يصوم الدهر كله فليصم ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر كله وفضل الله سبحانه وتعالى واسع ((وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ)) .

((قُلْتُ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) عندي قدرة لا أريد أن أكتفي بثلاثة أيام أطيق أفضل من ذلك .

((قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)) المسألة مسألة مواظبة إلى أن يموت .

((قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ)) من صام يوم وأفطر يومين فكأنما صام ثلث الدهر .

((قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا)) ومن صام يومًا وأفطر

يومًا فكأنما صام نصف الدهر . فانظر التدرج معه ؛ أولا العشر ، ثم الثلث ، ثم النصف .

قال : ((فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ . فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) وجاء

في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) ؛ بمعنى أن صيام

يوم وإفطار يوم لمن كان مطيقًا لذلك هو أفضل الصيام وهو صيام داود عليه السلام ، أفضل

الصيام وهو أفضل من صيام الدهر ، أفضل من الذي يواصل لقول النبي صلى الله عليه وسلم

((أَفْضَلُ الصِّيَامِ)) ولما قال له «أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ» قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في

بعض الزيادات ((لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ)) .

قال ((وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ)) يفيد قوله عليه الصلاة والسلام ((وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ)) أن أفضل

الصيام على الإطلاق في حق من يقدر على ذلك صيام يوم وإفطار يوم ، وكان رضي الله عنه

عنده قدرة على الصيام عنده قوة ، ولهذا مع هذا الصيام الذي كان يصومه جاء في بعض

الروايات في ذكر قوته ونشاطه «وكان لا يفر من الزحف» بمعنى أن هذا الصيام ما كان يضعف

بدنه بل على قوة ونشاط ويشارك في الجهاد ولا يفر لما آتاه الله من قوة ، لكن هذه القوة في

مرحلة الشباب ، لما كبر رضي الله عنه وأرضاه ندم في آخر حياته لأن المسألة مواظبة ، لما كبر

ما أصبح يجد القوة التي كان يجدها في مرحلة شبابه ؛ فكان يقول ليتني قبلت رخصة رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

قال : وَفِي رِوَايَةٍ: ((لَا صَوْمَ فَوْقَ صَوْمِ دَاوُدَ - شَطْرَ الدَّهْرِ - صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا))

وهذا يفيد أن صيام داود هو أفضل الصيام في حق من كان مطيقًا لذلك .

قال : وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ((إِنَّ أَحَبَّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ

دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ)) المراد بالصلاة هنا صلاة الليل .

((كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ)) يعني يقسم الليل إلى ستة أسداس ؛ ثلاثة

الأسداس الأول ينام ، ونوم من أول الليل أما الواقع الذي نعيشه هذا شيء آخر هذه نسخة

جديدة في الحياة مع المدنية والحضارة والإضاءة والأجهزة والآلات هذه نسخة جديدة في الحياة

ما كانت هذه حياة الأولين ؛ ينامون من بعد العشاء مباشرة . فينام النصف الأول من الليل يأخذ حظه من النوم ثم يقوم في السادس الرابع والخامس من الليل ويصلي ، ثم ينام السادس الأخير من الليل يأخذ أيضا قسطاً من النوم ليكون أنشط لفريضة الفجر ، وفريضة الفجر في وقتها هي وقت فريضة عند كل النبيين ، فينام حتى يكون أنشط له لصلاة الفجر .
قال : ((وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا)) وهذا كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام أحب الصيام .

قال رحمه الله تعالى :

٢٠٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ ؛ صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُكْعَتَيْ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ)) .

قال عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ((أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ)) ؛ خليلي: الخلة أعلى درجات المحبة ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ((وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَأَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ)) فهو عليه الصلاة والسلام لم يتخذ أحدا من أصحابه خليلا ، ولو اتخذ أحدا خليلا لاتخذ أبا بكر ، فهو لم يتخذ أحدا خليلا لكن أصحابه اتخذوه عليه الصلاة والسلام خليلا ، ولهذا قال أبو هريرة «أَوْصَانِي خَلِيلِي» .

((بِثَلَاثٍ)) ذكر العدد أولا لأن ذكره ابتداءً أضبط في الفائدة وأمكن ، ((أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ)) ثم ذكرها .

((صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرُكْعَتَيْ الضُّحَى ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ)) ؛ قد جاء هذا الحديث وهذه الوصايا الثلاث من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في صحيح مسلم قال : «أَوْصَانِي حَبِيبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ، لَنْ أَدْعَهُنَّ مَا عِشْتُ» وانتبه لمسألة المواظبة والمداومة .

الأولى من الوصايا الثلاث : ((صِيَامٍ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)) فهذه وصية عظيمة مباركة أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام غير واحد من أصحابه وأن يواظب عليها ما عاش حياته

كلها ؛ ((صِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ)) وعرفنا فيما سبق أن هذا الصيام صيام للدهر لأن الحسنة بعشر أمثالها .

((وَرُكْعَتِي الضُّحَى)) ركعتان يصليهما في الضحى ، ووقت الضحى كما تعلمون هو وقت موسّع ؛ يبدأ من ارتفاع الشمس بعد طلوعها قيد رمح ، يعني في رأي الناظر بتقدير النظر قيد رمح وقُدِّر بالساعات ما يقرب بربع ساعة بعد طلوع الشمس أو اثنا عشر دقيقة ، فهذا بداية صلاة الضحى ، وينتهي بوقوف الشمس في كبد السماء وهو قبل الزوال في حدود ثلث ساعة أو ربع ساعة ، وهذا أيضا وقت نهي . فصلاة الضحى وقتها بين النهيين ، كله وقت ، وأفضل وقت لها حين ترمض الفصال كما قال عليه الصلاة والسلام ((صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ)) ، وهذا الوقت الذي هو الوقت الذي ترمض فيه الفصال هو في منتصف الضحى ، يعني في الساعات في حدود الساعة العاشرة تقريبا أو في حدودها قبلها بقليل أو بعدها بقليل هذا أفضل وقت لصلاة الضحى . فيستحب للمرء أن يصلي ركعتين في الضحى ، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر : ((يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْرَى مِنْ ذَلِكَ رُكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى)) ، وفي هاتين الركعتين شكر لله على نعمه التي أمد الله بها المرء من صحة وعافية وقوى وحركة الأعضاء والعظام والمفاصل إلى غير ذلك .

قال : ((وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنْامَ)) وهذا عند أهل العلم محمولٌ لمن يعلم من نفسه أنه لا يتمكن من القيام آخر الليل فإنه يصلوها قبل أن ينام ، لكن من يعلم من نفسه التمكن من القيام آخر الليل فالأفضل أن يؤخر الوتر إلى آخر الليل ، وقد جاء في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمَعُ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذَلِكَ أَفْضَلُ)) ؛ فالأفضل أن تؤدى في آخر الليل الثلث الأخير من الليل وهو الوقت الذي ينتزل فيه الرحمن سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ)) ، فهو وقت مبارك ، وقت ثمين ، وقت مشهود في بعض الروايات محضور

((فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ)) فِي رَوَايَةِ ((مَحْضُورَةٌ)) يَعْنِي تَحْضُرُ مَلَائِكَةِ الرَّحْمَةِ وَتَشْهَدُ هَذِهِ الصَّلَاةَ .

وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى وَصِفَاتِهِ الْعَالِيَا وَبِأَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَنْ يَنْفَعَنَا أَجْمَعِينَ بِمَا عَلَّمَنَا وَأَنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا ، وَأَنْ يَصْلِحَ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ ، وَأَنْ لَا يَكِلَنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَمِلْشَائِحِنَا وَوَلَاةَ أَمْرِنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ . اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَرَكَعَهَا أَنْتَ خَيْرَ مِنْ رَكَعِهَا أَنْتَ وَلِيهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ ، وَنَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمِ مَغْفِرَتِكَ ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحَسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا ، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَرْحَمُنَا .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ .